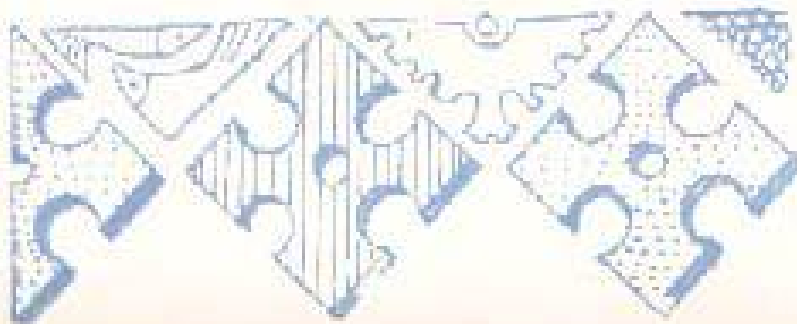


من عظام
قراية الاباء الزبوة الثالث

ابحار والنعمية



القمص بطرس السرياني

١٢١

كنيسة السيدة العذراء
محرم بك اسكندرية

الكليريكي
أسحق عبد المسيح عمالي

الجهاد والنعمّة

لفظة البابا المعظم

الانبا شنودة الثالث

القمص بطرس السرياني



القمص بطرس السرياني



قداسة البابا المعظم
الانبا شنودة الثالث
بابا الاسكندرية وبطربرك الكرازة المرقسية

مقدمة

تحتوي هذه النبذة احدى محاضرات قداسة البابا المعظم الانبا شنودة الثالث التي القاها - واربعاً اخرى غيرها - بالمؤتمر الاول لخدام التربية الكنسية بالاسكندرية عام ١٩٦٨ بكنيسة الاقديس مارمينا بالمندرة - وكان قداسته عندئذ اسقفا للتعليم - وقد سبق لمكتبة كنيسة السيدة العذراء محرم بك ان طبعت المحاضرات الخمس المذكورة طبعة اولى عام ١٩٧١ - وهو اول عام لتبوا قداسته السدة الرسولية .

واقدم نفذت الطبعة الاولى لتلك المحاضرات وازاء اللاحاق في طلبها رأينا ان نقوم باعادة طبعتها واحدة بعد الاخرى وها نحن نقدم الطبعة الثانية لهذه المحاضرة عن

البحار والنعم

راجين الرب ان يجعلها خير القراء ولبركة حياتهم وشركتهم في الرب . ببركة صلوات قداسة البابا المعظم الانبا شنودة الثالث اطال الله حياته ورئاسته للكنيسة سنين عديدة وازمنة سالمة مديدة - آمين .

الكنيسة

الجهاد والنعمة

ان الاعتدال في الامور الروحية ينقذ الانسان من سقطات كثيرة . وعيب الانسان انه في بعض الاوقات يتحمس لنقطة معينة ، ويركز فيها كل فكره ، وينسى باقي النقط التي تتعلق بالموضوع ، وبهذا يخطيء .

الجهاد والنعمة معا :

كيف يخاص الانسان — هل بالجهاد وحده ام بالنعمة وحدها ؟ لا يمكن للانسان ان يخلص بالجهاد وحده .
فالسيد المسيح يقول : « بدوني لا تقدر ان تفاعوا شيئا » يو ١٥ : ٥ . فمهما جاهدت ومهما تعبت لا يمكن ان تصل الى نتيجة بدون معونة من الله — وايضا من جهة النعمة « ان الله لا يريدنا ان نكون مستقلين على ظهورنا ويعطينا الماكوت » كما قال يوحنا ذهبي الفم . « اذك فالنعمة لا تفعل شيء » . فهي ليست مجالا للكسل والتهاون والتراخي . فلا تتسرك نفسك دون ان تعمل شيئا ، وتقول ان النعمة تعمل كل شيء . فهذا معناه أنك تنام ولا تبذل اى جهد وتتهاون في أداء واجباتك ثم تقول ان النعمة هي التي تعمل .

كان يشوع بن نون يقود جيش شعب الله ويحارب ، وفي نفس الوقت كان موسى النبي يقف على الجبل رافعاً يديه بالصلاة حتى النصر . فهل انتصر شعب الله عن طريق جيش يشوع ام عن طريق صلاة موسى ؟ يخطيء من يخص واحدة فقط من الاثنين . لان يشوع وحده مهما حارب بدون صلاة موسى - اى بدون معونة الله - لا يمكن ان ينتصر . وصلاة موسى وحدها ليس معناها تشجيع شعب الله ان يتراخي ويتكاسل ويهرب من امام العدو ، ويقول تكفى صلاة موسى . الجهاد والصلاة كانا سائرين سوياً . هذا يجاهد في الحرب ، وذاك يصلى الجهاد والنعمة متلازمان .

هناك عبارة جميلة او فهمناها لفهمنا كثيراً عن النعمة والجهاد . تقول البركة الرسولية : نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم ٢ كو ١٣ : ١٤ فما معنى عبارة ((شركة الروح القدس)) انها شركة بين اثنين يعملان سوياً : الروح القدس والانسان . فالروح القدس يقدر ان ينقذك وينجيك ولكنه لا يفعل هذا بمفرده ، وانما يريدك ان تشترك معه في تدبير حياته . تقول كيف هذا ؟ ان الروح القدس وحده يكفى ، اذن ما الفرق بين الذين اخلصوا والذين لم يخلصوا . . بين الابرار والاشرار ؟ اذا كان الروح

القدس يعمل وحده كل شيء : فلماذا يوجد انسان خاطيء على الارض ؟ لماذا لم يتب هذا الخاطيء ويخلص ؟ لماذا لم يتوبه الروح القدس ان كان الروح القدس يعمل وحده كل شيء ؟!

ان كان كل شيء بواسطة النعمة وحدها ، فلماذا لا تعمل في جميع الناس ؟ وبذلك لا يكون هناك خاطيء واحد في العالم ، ان مجرد وجود انسان خاطيء واحد في العالم دليل قوى على ان النعمة لا تعمل وحدها كل شيء . . .

هل عمل النعمة معناه الغاء الحرية الشخصية ؟

ان الروح القدس يعمل فينا لاجل الخير . وبر الانسان ياتي نتيجة اتحاد ارادته بعمل النعمة ، نتيجة شركة الروح القدس . . . فارادتك تتحد مع الروح القدس في خلاص نفسك ، وهذه هي شركة الروح القدس . والانسان يستطيع بارادته الحرة ان يوقف عمل الروح القدس فيه . فالكتاب يقول : « لا تطفئوا الروح » ١ تس ٥ : ١٩ . ويقول ايضا « لا تحزنوا روح الله » اف ٤ : ٣ . والنعمة واقفة على الباب تقرع . . « ها انذا واقفة على الباب وأقرع ، ان سمع احد صوتي وفتح الباب ادخل اليه واتعشى معه وهو معي » رؤ ٣ : ٢٠ . فالنعمة تعرض معونتها عليك ، وانت حر تقبل

أو لا تقبل . . تعمل أو لا تعمل . . إذا اشتركت مع الروح القدس في العمل ، تصل بنعمة الروح القدس الى كمال القداسة . وإذا رغضت الاشتراك ، فالنعمة وحدها لا يمكن أن ترغمك على الخير .

يتطرف كثير من الناس لدرجة ان كامة الجهاد الشخصي تبدو كما لو كانت هرطقة ، كما لو كانت عملا ضد الايمان ، وضد معونة الله . وهذا خطأ . فالنعمة عبارة عن سلاح يمكنك به أن تحارب لو أردت ويمكنك أيضا ان لا تحارب . فعلى حسب ارادتك واشتغائك بهذا السلاح يكون خلاص نفسك . واحد مثلا في الحرب أعطى دبابه وفتابل ومدافع وأسلحة وانتصر . فهل انتصر راجع الى الاسلحة وحدها ؟ وهل الحرب كلها كانت متوقفة على السلاح فقط ؟ كلا ، لان السلاح وحده لا يعمل اذا لم يكن هناك الشخص الذي يعمل بالسلاح ، كذلك الانتصارات في الحرب الروحية ، هي اشتراك مع نعمة الروح القدس التي هي السلاح .

ضرورة الجهاد :

كثيرة هي الايات التي تشرح ضرورة الجهاد . . وكمثال : يقول الكتاب : « اذلك نحن أيضا اذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطه بنا ، لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا

بسهولة **ولنحاصر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا** «
عب ١٢ : ١ . يقول الرسول هذا ، ثم يوبخ العبرانيين قائلا :
((لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية)) عب ١٢ : ٤

فالمفروض أن نجاهد ، وليس جهادا عاديا ، إنما جهاد حتى
الدم ضد الخطية . ثم الى متى هذا الجهاد ؟ يقول الرب :
« الذي يصبر الى المنتهى فهذا يخلص » مت ١٠ : ٢٢ .

وهنا يعترض الذين يقولون بأهمية النعمة دون الجهاد
بالاية القائلة : **« ليس لمن يشاء ولا لمن يسمى بل لله الذي
يرحم »** رو ٩ : ١٦ . ما معنى هذا ؟ هل رحمة الله هي التي
تعطينا الخلاص المجاني ، وتنقلنا الى المالكوت ، بدون سعي
وبدون مشيئة سالحة ؟ مستحيل !! . هل معنى هذا أن كل
انسان ينام في الخطية كما يريد ، ولا يسعى نحو الخير ، ولا
يريده ، يرحمه الله ؟ كلا . فان بولس نفسه الذي كتب هذه
الكلمات يقول : **« قد جاهدت الجهاد الحسن اكملت السعي
حفظت الايمان واخيرا قد وضع لي اكليل البر . . »** ٢ تي
٤ : ٧ ، ٨ . ان الذي قال **« ليس لمن يسمى »** قد اكمل
السعي ، ونال اكليل البر نتيجة لهذا السعي وهذا الجهاد
الحسن .

بل ان بولس نفسه يقول اكثر من هذا : « الستم تعلمون
ان الذين يركضون في الميدان جميعهم يركضون ولكن واحدا
ياخذ الجعالة هكذا اركضوا لكي تنالوا » ا كو ٩ : ٢٤ .
فكيف نركض ؟ والامر ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى !!
« وما فائدة ان نركض ونجاهد ؟ كفاني ان اجلس كما انا ،
وتاتيني النعمة من عند الله وتنقلني الى الملكوت ، دون ان
اشاء ودون ان اسعى !! » وهذا لا يكون ، اذ ان بولس يكمل
ويقول « وكل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء اما اولئك
فلكى ياخذوا الكليلا يفنى واما نحن فاكليلا لا يفنى . اذا انا
اركض هكذا . . بل اتمتع جسدي واستعبده حتى بعدما كررت
للاخرين لا اصير انا نفسي مرفوضا » ا كو ٩ : ٢٥ - ٢٦ .

فبولس نفسه يركض ، بولس الذي كان ممثلا من الروح
القدس ، الذي كانت تعمل فيه النعمة اكثر من الجميع ، هل
كان محتاجا ان يركض ؟ . . نعم كان محتاجا ، لكي ينال . بل
يقمع جسده ويستعبده حتى لا يصير هو نفسه مرفوضا . فان
كان بولس الرسول يجاهد ، ويخاف ان يرفض ، فماذا
نفعل نحن !؟ .



هل يقف الجهاد في وقت ما ؟

لا يظن احد انه يمكن ان يسلم الانسان نفسه للنعمة ويؤمن ويخلص وكفى — يقول البعض انه خلص وانتهى الامر ، فما معنى كلمة « خلص ؟ » اتعنى ان النعمة قد عملت فيه وتخلصته وكفى ، فهو لا يحتاج للجهاد لانه قد ضمن السجاء في **بَيْتِهِ** ان هذا خطأ بلا شك ، لاننا نحتاج الى الجهاد حتى الدم كل ايام الحياة فليس معنى أنك « تجددت وولدت ولادة جديدة » ان ينتهى جهادك ، فانت محتاج ان تقاوم حتى الدم . لان اناسا كثيرين بداوا بداءة حسنة، وانتهى بهم الامر الى الهلاك

يحدثنا بولس الرسول عن اشخاص **(بداوا بالروح واكملوا بالجسد)** غل ٣ : ٣ . فآين كانت النعمة عندما هلکوا ؟ لقد تركتهم لحرية ارادتهم . والرب لا يفرض الخلاص على احدا ولا يرغمك على الخلاص . ان النعمة لا تمسك حياتك وترسلها الى ملكوت السموات بالاجبار . لان الانسان ليس مسيرا نحو الخير يتحدث بولس الرسول عن **ديماس انه تركه اذ احب العالم الحاضر ٢** تي ٤ : ١٠ . فآين كانت النعمة عندما هلک ديماس ؟ كانت موجودة لكنه لم يعمل معها . ويقول بولس في رسالته الى اهل فيلبى : **« لان كثيرين يسرون ممن كنت اذكرهم لكم مزارا والان اذكرهم ايضا باكيا وهم اعداء**

صليب المسيح الذين نهائيتهم الهلاك « في ٣ : ١٨ ، ١١ .
هؤلاء اشخاص كانوا اعمدة في الكنيسة ، وكانوا من مساعدي
بولس الاقوياء ، وكانت تعمل فيهم النعمة بقوة ، لقد نال
هؤلاء الخلاص ، ولكنهم فقدوه في الطريق ، وفقدوه الى
الابد ، اذ يقول بولس : « ان نهائيتهم الهلاك » .

اذن ليس كافيا ان تكون نعمة الله موجودة معنا وانما
لابد لنا ان نجاهد بكل قوتنا — وصحيح « ليس لمن يشاء ولا
لمن يسعى بل لله الذي يرحم » ، لكن من هم الذين يرحمهم
الله ؟ ان الله يرحم الذين يشاعون ويسعون . قوة الله هي
التي تعطيتهم النصر والغلبة ، ولكنهم اذا لم يشاعوا ولم
يسعوا يهلكون . لما تكلم بولس في مسألة المتحيزين الى
ابولس ، شرح ان المسألة ليست مسألة بولس ولا ابولس
١ كو ١ ، ٣ . لان واحدا غرس والاخر سقى لكن الله هو
الذي ينمي : « اذن ليس الغارس شيئا ولا الساقى بل الله
الذي ينمي » ١ كو ٣ : ٧ . فلا بد من الغرس ومن الري حتى
ينمي الله . والله الذي ينمي هو الذي يرجع اليه الفضل .
ولكن ليس معنى هذا ان نمتنع عن الغرس والسقى .



الحرب الروحية :

لنتأمل الكتاب المقدس عندما يصف لنا الحروب الروحية في
الاصحاح السادس من الرسالة الى اهل افسس الذي يقول:

« اخيرا يا اخوتى تقووا في الرب وفي شدة قوته ، البسوا
سلاح الله الكامل لكي تقدرُوا أن تثبتوا ضد مكيد ابليس
فان مصارعنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع
السلطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع اجناد
الشر الروحية في السماويات ، من أجل ذلك احمِلوا سلاح الله
الكامل لكي تقدرُوا أن تقاوموا في اليوم الشرير ، وبعد أن
تتمموا كل شئ أن تثبتوا غائبوا منطقين أحقاعكم بالحق
ولابسين درع البر وحاذين أرجلكم باستعداد انجيل السلام ،
حاملين فوق الكل نرس الايمان الذي به تقدرُونَ أن تطفئوا
جميع سهام الشرير المتهبة ، وخذوا خوذة الخلاص وسيف
الروح الذي هو كلمة الله . مصليين بكل صلاة وطلبه كل
وقت في الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبه لاجل
جميع القديسين ولاجلى » أف ٦ : ١٠ ، ١٩ .

هنا مصارعة وهنا حرب روحية ، أى أن هنا جهادا ،
والسلاح هو سلاح الله ، هو الايمان ، هو الاعتماد على
الرب . لكن ليس معنى ذلك أننا لا نجاهد ، فالنعمة هي

السلاح ، والجهاد هو الحرب جاهد اذن * واعتمد على الله في جهادك ، والله سوف ينصرك . ولا تصبح مثل شخص اخذ ترس الايمان وخوذة الخلاص وسيف الروح ومنطقة الحق ودرع البر ووقف ساكنا لا يحارب . فكيف ينتصر ان لم يستعمل درع البر وسيف الروح الذي هو كلمة الله .

انها حرب وجهاد وقتال وصراع ، والاسلحة هي اسلحة الله ، ولكن لا بد لك ان تستخدمها وتحارب بها ، والا فستهزم . ان الاشخاص الذين ذكرهم بولس باكيا كانت معهم الاسلحة الروحية ولكنهم لم يحاربوا ولم يجاهدوا ، ومالت نفوسهم نحو الخطية واستسلمت ، فهلكوا في خطاياهم .

عندما حارب داود جليات الجبار ، كيف انتصر ؟ . . بقوة الله . قال له : « أنت تأتي الي بسيف وبرمح وبترس وانا آتى اليك باسم رب الجنود » ا صم ١٧ : ٤٥ . فداود انتصر بسيف الله ، بقوة الله ومعونته . ولكنه حارب ، وانتخب له خمسة حجارة ملساء من الوادي ، وكان مقلعه بيده ، وتقدم نحو الفلسطينيين وأخذ حجرا من الخمسة ورماه بالمقلع ، وضرب الفلسطيني في جبهته فسقط على وجهه الى الارض ا صم ١٧ : ٤٠ . فداود حارب ، والله هو الذي نصره . لانه كان من الممكن ان الحصاة لا تأتي في موضع قاتل بالنسبة

لجبايات فلا يقتل . لكن الله اعطاه قوة وقتل الجبار . لذلك قال بولس : « ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذى يرحم » .

ويقول بولس الرسول أيضا : « ان كان احد يجاهد لا يكال ان لم يجاهد قانونيا » ٢ تى ٢ : ٥ ، اذن لابد ان تجاهد ، وتجاهد جهادا قانونيا ، وبهذا تخلص . ويقول بطرس الرسول : « اصحوا واسهروا لان ابليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتصقا من يبتلعه هو . فقاوموه راسخين فى الايمان » ١ بط ٥ : ٨ . اى جاهدوا ضده ، وليس بقوتكم بل راسخين فى الايمان ، اى قاوموه بنعمة الله . جاهد ولا تعتمد على ذراعك البشرية . جاهد بكل ما اعطيت من قوة ، معتمدا على نعمة الله ومعونته وفعل الروح القدس .

يقول البعض ان الجهاد هو ذراع بشرى — « وملعون من يتكل على ذراع بشرى » . والحقيقة ان الجهاد يصبح ذراعا بشريا ، لو اعتمد الشخص على ذاته فقط . لو كان يعتبر انه بمجرد جهاده فقط يخلص . هنا تنفت امامه الاية القائلة : « لانكم بدونى لا تقدرين ان تفعلوا شيئا » يو ١٥ : ٥ . ان بدون سلاح لا تصلح . وهذا ليس معناه ان الحرب لا قيمة لها ، بل معناه اننا عندما نحارب بدون سلاح — اى بدون نعمة الله ومعونته — فائنا لا نتصر .

جهاد الرسل والرعاة :

وهل الرسل أم يجاهدوا ولم يتعبوا من أجل الايمان ؟ ان بولس الرسول نفسه يقول « أنا تعبت أكثر منهم جميعهم » ١ كو ١٥ : ١٠ . كلهم تعبوا ، وبولس تعب أكثر ، تعباً سجله في رسالته الى كورنثوس ٢ كو ١١ : ٢٣ ، ٣٣ . فاذا كانت المسألة مجرد نعمة ، لماذا يتعب بولس ؟ وما لزوم الكرازة والوعظ والنصح والنبشير والرعاية والتعب ، فالنعمة تعمل كل شيء ؟ ! ولماذا ترعى وتفقد وتجاهد وتتعب ذاتك ؟ اليس الله قادرا أن يتكلم في قلوب الناس ويخلصهم وحده ؟ ! وما لزوم الرسل والرعاة والوعاظ ؟ ! وما لزوم كل جهاد ؟ هل هو اعتماد على ذراع بشرية ؟ ! لو كانت النعمة تعمل وحدها كل شيء ، فالكاهن ينام ويصلى ويقول « أنت يا رب ترعى شعبك . لماذا أجاهد ؟ لانه ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل أنت الذي ترعى الشعب » ! والواعظ ، لماذا يعظ ؟ يكفيه أن ينام في البيت مستريحا ، ويقول « نعمتك يا رب تتكلم في قلوب الناس وترشدهم وتخلصهم » ! وأنت لماذا تتعب نفسك في حياتك الخاصة في الصلاة وفي الصوم وفي الجهاد ؟ كفاك أن تكون مع النعمة ؟ هل ترمى نفسك في الاوساط الشريرة وتقول « النعمة تخلصني » ؟ ! هل تجلس في مجالس المستهزئين وتسير في طرق الخطاة وتقول « النعمة

لا تجعلني أتأثر بهم « ؟! ولماذا يقول الكتاب « طوبى للرجل
الذي لم يسلك في مشورة الاشرار وفي طريق الخطاة لم يقف
وفي مجالس المستهزئين لم يجلس « ؟! مز ١ . أليس لان هذه
الاشياء كافية بأن تبعده عن النعمة .

الايهان والاعمال :

ان مسألة الجهاد والنعمة يدخل فيها مبدأ بروتستانتى
خطير فمارتن لوثر يقول : « كن زانيا ، كن ثاتلا ، كن فاجرا ،
كن فاسقا ، لكن آمن فقط بالذى يبرر الفاجر وانت تخلص »
— هذا الكلام صعب ! فالمسيح رفض الذين عن اليسار اذ
قال لهم « لانى جعلت فلم تطعمونى . عطشت فلم تسقونى .
كنت غريبا فلم تأوونى ، عريانا فلم تكسونى ، مريضا
ومحبوسا فلم تزورونى » مت ٢٥ : ٤٢ . اذن من لا يعمل
لن يخلص . ويقول الرب ايضا : « كثيرون سيقولون لى فى
ذلك اليوم يا رب يا رب اليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا
شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة فحينئذ اصرح لهم انى
لم أعرفكم قط اذهبوا عنى يافاعلى الاثم » مت ٧ : ٢٢ ، ٢٣ .
والعذارى الجاهلات قلن له : « ياسيد ياسيد افتح لنا »
مت ٢٥ : ١١ . اذ قد كن يؤمن به ، ولكنه لم يفتح لهن بل
طردهن قائلا : « الحق أقول لكن انى لا أعرفكن »
مت ٢٥ : ١٢ .

فكيف هذا ؟ ألا يكفي الايمان وحده ؟ — كلا « فالايمان بدون أعمال ميت » يع ٢ : ٢٦ . والكتاب يقول أيضا : « اصنعوا اثمارا تليق بالتوبة » مت ٣ : ٨ . بما كان أسهل أن يقول « فلتصنع النعمة فيكم ثمارا » . ان الثمار تتكون فعلا بتدخل عمل النعمة . ولكن الرب لكي يثبت عمل الانسان معها ، قال « اصنعوا اثمارا . . » لذلك ان لم تعمل مع النعمة لا يمكن أن النعمة تخلصك .

قال القديس اغسطينوس : « ان الله الذي خلقك بدونك لا يمكن أن يخلصك بدونك » . فإله خلقك بدون عملك أنت ، لكن عندما يخلصك لا بد من عملك أنت معه . اذن آية « ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذي يرحم » تعنى ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بمفرده بدون عمل الله معه ، وبدون معونة من الله ، بدون شركة الروح القدس . ان الله يرحم الذين يشاءون ويسعون . ولا بد أن تقول مع بولس « جاهدت الجهاد الحسن واكملت السعى » ، ولا بد أن « تقاوم حتى الدم مجاهدا ضد الخطية » ولكن راسخا في الايمان ومعك السلاح النعمة وبه تنتصر .

التدريبات الروحية :

والذين يحاربون الجهاد ، يحاربون أيضا التدريبات
الروحية .

ولماذا يحاربونها ؟ كما لو كانت هي أيضا اعتمادا على
ذراع بشرية ؟

طبعاً لو سلك انسان في التدريب الروحي معتمداً على
قوته الخاصة يخطيء . جيداً ان يدرّب نفسه ولكن على
قوة الله .

وبولس الرسول يتحدث هو أيضاً عن تدريباته فيقول في
سفر الاعمال « لذلك أنا أيضاً أدرب نفسي ليكون نى دائماً
ضمير بلا عثرة من الله والناس » أع ٢٤ : ١٦ . ويقول في
رسالته الى فيلبى « وفى جميع الاشياء قد تدربت ان اشبع
وأن أجوع وأن أستفضل وأن أنقص » فى ٤ : ١٢ . تدرب
فى كل شيء وأصبحت له الحواس المدربة ! فلا تانع من أن
يسلك الانسان فى التدريبات الروحية غير معتمداً على ذاته
وقوته الشخصية ، بل على نعمة الله التى تعطى له .

وهنا بعد تمام الحديث — نتطرق الى بعض الاسئلة التى
تد تدور فى فكر الفرد نعرف ما هى الاجابة عليها نيزيد
ثباتنا فى النعمة والجهاد :

السؤال الاول :

اذا كان الايمان وحده لا يكفى للخلاص فما الذى فعله
الاص اليمين على الصايب حتى خلص ؟

الجواب :

لقد عمل الاص كثيرا : آمن بالرب فى ظروف قاسية جدا ،
واعترف بهذا الايمان علانية ، الامر الذى لم يقدر عليه
بطرس الرسول وباقى الرسل . واعترف ايضا بخطاياها
لانه قال « نحن بعدل جوزينا » . ودافع عن الرب ، وبكت
الاص الاخر . وانا - فى هذا المجال - اسأل سؤالا هاما
يسرنى ان اسمع الاجابة عليه وهو « ماذا كان بإمكان هذا
الاص ان يفعل أكثر من هذا ولم يفعله ؟ » ..

مجرد ايمان الاص لم يكن أمرا سهلا . لو انه آمن بالرب،
وهو يقيم الموتى ، ويشفى المرضى ، وينتهر الريح ، ويمشى
على الماء ، ويعمل المعجزات الخارقة ، لقننا ان تلك أمورا
واضحة لا تقبل الشك . ولكنه آمن بالمسيح وهو مصأوب !
آمن به وهو مهان ومحتقر من الناس ، وأمام الكل فى حالة
ضعف ! ياطمونه ، وييصقون على وجهه ، ويستهزئون به ،
ويقولون له « تنبأ من أطمك » !

كانت المقاومات كثيرة من كل ناحية أمام هذا الايمان . ولو أن هذا اللص لم يؤمن ، لالتبس له الناس الاعذار ، فكيف يمكن أن يؤمن برجل مصابوب أنه اله ؟! لابد أن اللص كان محتاجا الى جهاد كبير ليصل الى هذا الايمان مقاتلا الشكوك الكثيرة التي تقف أمامه وتكاد تلغى ايمانه ..

انشق حجاب الهيكل ، واطلمت الشمس .. فهل كان هذا كافيا للايمان ؟ على الرغم من ذلك لم يؤمن رؤساء الكهنة والكهنة واشيوخ والكتبة والفريسيون ، ولم يؤمن اللص الاخر .. يضاف الى هذا أن المسيح المصلوب يقول « الهى الهى لماذا تركتني .. الامر يدعوا الى الشك ، وخاصة بالنسبة الى لص نشأ في بيئة معينة ..

من أين أتاه اذن هذا الايمان ؟ هل النعمة عملت فيه ؟ واذا كانت النعمة قد عملت فيه ، فلماذا لم تعمل في اللص الاخر ؟ على الرغم من أنهما في حالة واحدة وفي مركز واحد وستنتهي حياتهما بعد فترة وجيزة ؟ فلماذا لم تخلص النعمة اللص الاخر كما خلصت الاول ؟ قطعا كانت النعمة تعمل في الاثنين . ولكن الذي آمن استسلم لعمل النعمة وقبلاه ، وقاوم الشكوك والشيطان ، وجاهد . بينما الاخر الذي لم يؤمن ، لم يجاهد ، واستسلم للشكوك والعثرات ، ورفض . فلم

يدخل اللص ملكوت الله بمجرد ايمانه فقط ، بل لجهاده ايضاً ضد الشكوك التي كانت كافية لان تعثره وتبعده عن الايمان . ان الجهاد ليس قاصراً على التطاحن والتشاجر ، ولكن هناك جهاد داخلي كجهاد اللص ، الذي جاهد ضد الشكوك والافكار والتجديف .

كل من يقول ان اللص لم يجاهد ، يبدو انه لم يتخيل ويتصور الموقف الذي احاط باللص ، ذلك الموقف الذي اعثر فيه جميع الناس حتى التلاميذ الذين قال لهم الرب « كلكم تشكون في في هذه الليلة » مر ١٤ : ٢٧ . لقد ضرب الراعي فتبددت الرعية كلها !! ولم يستطع ان يقف الى جوان الصليب الا المريمات ويوحنا الحبيب فقط ! ينبغي اذن ان نعرف ان جهاد هذا اللص كان من اعظم انواع الجهادات !

السؤال الثاني :

ما هو التعليم بالاختيار الذي يتم عمل الخلاص بالنعمة ... ؟

الجواب :

طبعاً لا يمكن ان نتكلم عن الجهاد والنعمة بدون ان نتكلم عن الاختيار . فما هو الاختيار ؟ وما علاقته بالاية التي تقول

« أرحم من أرحم وأترأف على أترأف » رو ٩ : ١٥ ؟ هل
معناه أن الله يختار أشخاصا معينين للملكوت ؟ وما هو
المقصود بقوله في سفر الاعمال : « وآمن جميع الذين كانوا
معينين للحياة الابدية » أع ١٣ : ٤٨ .

لكي نفهم ذلك يجب أن يكون لنا ايمان سليم مبنى على اساس
ثابتة . غلابد أن نؤمن أن الله عادل وليس عنده ظلم البتة ،
وان كان غير عادل فلا نؤمن به . وما دام الله عادلا فهل
من المعقول أن يختار أشخاصا معينين للخلاص ؟ فاذا كان
الله يرحم من يرحم ويتراءف على من يتراءف ، ويتسركأ
الباقيين للهلاك ، اذن فهو ظالم ! ولكن الكتاب المقدس يرد
على مشكلة الاختيار بآية واضحة تقول « **الله يريد ان الجميع
يخلصون والى معرفة الحق يقبلون** » ا تي ٢ : ٤ . اذن
فما معنى الاختيار ؟ ان الله يدعو جميع الناس لانه يريد ان
الجميع يخلصون . انه لم يختار ولم يحب نوعا معيننا من
الناس او مجموعة معينة او « المختارين » فقط ، ولكنه
احب الجميع اذ يقول الكتاب : « هكذا احب الله العالم حتى
بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له
الحياة الابدية » يو ٣ : ١٦ . وفي حادثة رؤيا كرنيليوس
يقول الكتاب : « ففتح بطرس فاه وقال : بالحق انا اجد ان
الله لا يقبل الوجوه بل في كل امة الذي يتقيه ويصنع البر

مقبول عنده» أع ١٠ : ٣٤ ، ٣٥ . « وكل من يدعو باسم الرب يخلص » أع ٢ : ٢١ . فهو لم يختر جماعة معينة ، والا يكون ظالما ، بل يريد أن الجميع يخلصون . لذلك قدم خلاصا مجانيا كاملا لجميع الناس هذا الخلاص ليس لنا فضل فيه ، ولا دخل للجهد فيه ، لاننا « متبررون مجانا بنعمته » رو ٣ : ٢٤ .

ولكن هل خلص الجميع ، بهذا الخلاص المجاني المقدم للجميع ؟

يقول يوحنا الرسول : « وان أخطأ أحد فلنا شفيح عند الاب يسوع المسيح البار وهو كفارة ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضا » ١ يو ٢ : ١ . فقدم المسيح الذي سفك على الصليب كاف لغفران خطايا العالم كله ، فهل خلص العالم كله ؟ كلا ، لم يخلص العالم كله . لانه يوجد أناس آمنوا بالخلاص وقبأوه ، وآخرون رفضوه ولم يؤمنوا به فأمر خلاصك يتوقف اذن على اتفاق ارادتك مع ارادة الله وقبولك للخلاص . اذك قال المسيح له المجد « يا اورشليم يا اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها كم من مرة هردت أن أجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا هوذا بيتكم يترك لكم خرابا »

مت ٢٣ : ٣٧ فالجميع مدعوون للخلاص ، ولكن الله لا يرغب
أحدا على القبول . لذلك عندما دعا للعرس دعا الجميع .
حتى غير المستحقين دعاهم أيضا للعرس ودعاهم للخلاص .
يقول الكتاب : « ثم قال لعبيده أما العرس فمستعد وأما
المدعون فلم يكونوا مستحقين » مت ٢٢ : ٨ .

يقول الكتاب عن عمل النعمة هذا المثل : « خرج الزارع
ليزرع وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق وآخر على
الإماكن المحجرة وآخر على الشوك وآخر على الأرض
الجيدة . . » مت ١٣ : ٣ - ٨ . ثم تأت كل البذار بثمر ،
ليس لأن البذار رديئة ، حاشا ، لأنها كلمة الله الصالحة
ونعمة الله العاملة . ولكن لأن النعمة وحدها لا تكفى :
فعندما أتت إلى القاب الحجرى لم تأت بثمر . وعندما أتت
حيث لم يكن له عمق أو أصل ، نبت قليلا ثم جف النبات ،
وفي موضع آخر طلع الشوك وخنقه ، هكذا اهتمامات العالم
وحاجياته خفقت الزرع المقدس . فلا بد أن تبعد عن الشوك
لكى تخاض نفسك ، لا تجلس فى مجالس المستهزئين ولا
تسر فى طريق الخطاة ، متكلا على عمل النعمة . لأن النعمة
لا تخاضك ، ما لم تشترك معها فى تخليص نفسك ، وتجاهد
كثيرا . مثلما فعات المرأة نازفة الدم لكى تخلص : جاهدت
وسط الجمع المزدحم حتى وصلت إلى المسيح ولمست هذب

ثوبه فثفت في الحال . وأيضا مثلما فعل زكا اذ تسلق
الشجرة حتى رآه المسيح وخاصة ، ولم يمنعه من ذلك
مركزه وكرامته .

فالمسيح مستعد ان يأتي اليك اذا طلبته ولم تقصر في
جهادك ولو فرض أنك قصرت فلماذا لم تخلصك النعمة
من التقصير ؟ لنفرض اني خاطيء واريد ان اتوب ، فهل
تأتي التوبة بارادتي أم بالنعمة ؟ ان كانت بالنعمة فلماذا لم
تتوبني ، والله يريد ان الجميع يخلصون ؟! ربما لانني طلبت
ولم اعمل ما يتفق وعمل النعمة . فلا بد ان نكافح ، محاربين
بسلاح النعمة لذلك قال بولس الرسول : « لم تقاوموا بعد
حتى الدم مجاهدين ضد الخطية » عب ١٢ : ٤ . وقال
أيضا : « أقمع جسدي واستعبده حتى بعد ماكرزت للآخرين
لا أصير أنا نفسي مرفوضا » ١ كو ٩ : ٢٧ . فحتى بولس
كان ممكنا ان يصير مرفوضا ، على ان المسيح ظهر له
والنعمة عملت فيه بقوة . لا بد من ان يجاهد الانسان ،
فالجهاد هو استخدام لسلاح النعمة .

السؤال الثالث :

هل توجد فترات يمكن ان تفارق فيها النعمة الانسان
المجاهد ؟

الجواب :

النعمة لا تفارق الانسان مفارقة كلية ولكنها جزئية الى حين . فاحيانا اذا تكبر الانسان تفارقه النعمة ، فيسقط ، ويشعر بضعفه ، فلا يعود للكبرياء ثانية ، وفي ذلك يكون هذا التخلي نوعا من أنواع العلاج . واحيانا تفارقه قليلا كتوسع من السياسة الالهية : حتى يتشوق الى النعمة ، وبطلبها ، وينمو في الصلاة ، ويشكر الله على استجابة طلباته ، ولا يتهاون ، ويجاهد ، وغير ذلك .

ولربنا كل مجد وكرامة آمين ..

